هدية المؤلف

لمكتبة عباد الرحيم

دراسات حضارية معاصرة 2

المجتمع الإسلامي

والتيارات المعاصرة

عمر بهاء الدين الأميري



عمر بهاء الدين الأميري

المجتمع الإسلامي

والتيارات المعاصرة

من أبحاث

الندوة العالمية للدراسات الاسلامية

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر
صندوق البريد ٤٢٩٥ - بيروت

الطبعة الأولى

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ، أَقامُوا ٱلصَّلاةَ ، وَآتَوُا ٱلزَّكاةَ ، وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ؛ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » .

هذا البحث

- أُعدَّ في حلب عام ١٣٧٧ من الهجرة الموافق لعام ١٩٥٧ من الميلاد.
- وكان بعنوان: « رد فعل المجتمع الإسلامي حيال الأفكار المعاصرة والقيم الاجتماعية الحديثة ».
- وقُدِّم للندوة العالمية للدراسات الإسلامية التي دعت إليها جامعة البنجاب في باكستان.
- وأُلقي في لاهور خلال مشاركة صاحبه في الندوة التي كانت ما بين ٧ – ١٥ من جمادى الآخرة ١٣٧٧ وفق ١٩٥٧/١٢/٣٠ – ١٩٥٨/١/٨.
- يطبع الآن ، للمرة الأولى ، بعد إعادة النظر في قليلٍ من تعابيره وأفكاره . ويُلاحظ انه أعدَّ قبل الأحداث السياسية والنكبات التي ألمت بالعالم الإسلامي منذ منتصف عام ١٣٧٧هـ ، أواخر ١٩٥٧م.

عناصر البحث

I . – مقدمة : موضوع يعالج حياة أُمّة.

II . – المجتمع الإسلامي :

1) ترامي أطرافه ، وتباين سكانه .

2) الرابطة الإسلامية .

آ – متى كونت أمة .

ب – متى بدأ تشتت المسلمين .

3) الذاتية الإسلامية :

آ – عصر الانحطاط .

ب – بدء النهضة .

جـ – التأثر بالغرب .

١ً – بعد الحرب العالمية الأولى وانتشار الدعوة القومية .

٢ً – بعد الحرب العالمية الثانية وانتشار الدعوة الاشتراكية والشيوعية .

4) بعض التباين في أجزاء عالم المسلمين اليوم :

أ ـ سيادياً .

ب ـ سياسياً .

ج ـ مذهبياً ، في الأصول والفروع .

5) مواطن القوة والضعف في المجتمع الإسلامي :

آ ـ نقاط التلاقي والتباعد بين أجزائه .

ب ـ قوة الإسلام في عهد النبوّة .

ج ـ النكبات التي نزلت بالمسلمين .

د ـ قدرة الإسلام الباقية وقوته الكامنة .

هـ ـ أساس العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله .

III . ـ العالم الإسلامي والغرب :

1) الاهتمام المتبادل بينهما .

آ ـ تأثر المسلمين بأنماط الحياة الغربية .

ب ـ محاولات بسط النفوذ الغربي على العالم الإسلامي .

2) انقسام العالم بعد الحربين العالميتين إلى معسكرين :

آ ـ المعسكر الشيوعي .

ب ـ المعسكر الرأسمالي .

ج ـ سيطرة المادية على المعسكرين معاً .

3) السياسة الغربية مع العالم الإسلامي :

آ ـ بُعْدها عن روح المسيحية الأصيلة .

ب ـ عملها على إبعاد المسلمين عن دينهم .

ج ـ الفرق بينها وبين السياسة الإسلامية المتسامحة .

IV . ـ الأفكار والمذاهب الاجتماعية الحديثة :

1) القومية .

آ ـ وجودها الحي وحقيقتها التاريخية .

ب ـ انحراف الحركات القومية الغربية .

ج ـ تجهيل المسلمين بالإسلام ، وبالقومية الحق .

د ـ تلقّي العرب والمسلمين فكرة القومية عن أوروبا .

هـ ـ العروبة والإسلام .

2) موقف الإسلام والمسلمين من المذاهب الحديثة .

آ ـ مدى تأثر المسلمين بالحضارة الغربية .

ب ـ نظرية « إقبال » في الذهنية « المجرّدة » .

ج ـ تأثر النهضة الإسلامية الحديثة بالغرب .

3) الاشتراكية والشيوعية :

آ ـ انبثاقهما عن أساسٍ مادي .

ب ـ الاختلاف الأصيل بينهما وبين الإسلام .

ج ـ تأثر المسلمين بهما اليوم .

هـ ـ الشيوعية بين أعدائها وأنصارها في العالم الإسلامي .

و ـ كسب الشيوعية للرأي العام ، بالدعوة إلى السلام ونصرة الشعوب .

ز ـ أثر التقدم العلمي الروسي في الترويج للشيوعية .

V . ـ العالم الإسلامي حيال الأفكار والقيم الحديثة :

1) الإسلام ، بالأصل وبالسبق ، يشمل الجوانب الخيِّرة من القيم الحديثة :

آ ـ نظام الإسلام المحكم الشامل .

ب ـ أمثلة من التاريخ الإسلامي .

ج ـ تخلف واقع المسلمين عن حقيقة الإسلام .

2) تأثر عالم المسلمين بالقيم الحديثة :

آ ـ التفريق بين الإسلام كنظام والمسلمين كمجموعات بشرية .

ب ـ اختلاف أجزاء عالم المسلمين بالتأثر بعضها عن بعض .

ج ـ الفرق بين موقف الحكومات وموقف الشعوب .

VI . ـ زبدة القول :

1) مجتمعات المسلمين في العصر الحاضر :

آ ـ بعدها عن حقيقة الإسلام .

ب ـ خطوات الإصلاح .

ج ـ الفئات المتأثرة بالثقافة الغربية .

2) الإسلام وحاجات الزمن :

آ ـ المجمع العلمي للدراسات الإسلامية .

ب ـ الإصلاح بين الفرد والمجموع .

ج ـ السياسة بين المواطن وقضايا الوطن الكبرى .

د ـ قابليات الإسلام المستمرة لبعث المسلمين

هـ ـ حتمية المبادرة وعدم إمكان التسويف .



رد فعل المجتمع الإسلامي

حيال الأفكار المعاصرة والقيم الاجتماعية الحديثة

جوانب البحث والرأي والقول في هذا الموضوع متسعة رحبة لا يمكن أن تستوعبها وتستوفيها هذه الصفحات ، وسأحاول الإيجاز ما استطعت ، دون إخلال أو إهمال لنواحيه الحساسة .

موضوع يعالج حياة أمة

الموضوع هام من عدة وجوه : تاريخياً ؛ من حيث إلمامه بماض حافل بالأحداث ، زاخر بضروب الصراع من فكري وسياسي واجتماعي و ... وهام اجتماعياً ؛ من حيث معالجته لواقع المسلمين ومجتمعاتهم وتفاعلها مع الأفكار المعاصرة والقيم الاجتماعية الحديثة . وتزداد أهميته ، حين ينظر إليه كتخطيط لمناهج العمل ، في مستقبل أمة تشغل حيزاً كبيراً ، مادياً ومعنوياً ، بين أمم الأرض ، وما

زال يتحسس الوعاة من أبنائها بواجب التحقق برسالتها المقدسة في أنفسهم ، ثم حملها للإنسانية ، دعوة خالصة ورحمة عامة ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ... » « ... وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .. » .

فالموضوع – على ما يبدو لي – معالجة حياة، ومكابدة كفاح ، وصفحات جهاد ، أكثر منه نظراً علمياً في بحث ما ؛ إنه مشكلة الساعة ، وقد تُلقي معالجته بعض النور في سبيل العاملين في الميادين الإسلامية والعربية العامة .

يقول الأستاذ « جب » :

تشتت دار الإسلام

لا يتيسر « لأي إنسان بمفرده أن يحيط بجميع التطورات ومراتب الإيمان المختلفة في شتى المناطق الإسلامية ، لأن النفاذ إلى حال البربر والعرب والأتراك والفرس والأفغانيين والبنجابيين والبنغاليين من أصعب الصعب دفعة واحدة ، فكيف إذا طالعنا من وراء هذه الأمم على اختلاف مذاهبها وفرقها أمم [1] ماليسيا

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، ونحن ندعوها شعوباً وليس أمماً كما سماها « جب » .

وجاوى وزنوج أفريقيا الغربية والشرقية .. والذي غاب عنه في هذا السرد أن يذكر الأكراد الموزعين بين البلاد العربية وتركيا ، وبعض المناطق الإسلامية في روسيا وتركستان والقرم وأذربيجان و ... ، والملايين القليلة أو الكثيرة من مسلمي الصين واليابان ، والجاليات الإسلامية في دول أوروبا وسواها .

والواقع أن العالم الإسلامي ، أو دار الإسلام – حسب التعبير الشرعي – أصبحت في هذا الزمن وقبله بأزمان ، مترامية الأطراف موزعة الاتجاهات ، مختلفة المذاهب ، متأثرة بشتى العوامل السياسية والجغرافية والتاريخية ، بحيث بات من العسير جداً اعتبارها مجتمعاً إسلامياً واحداً واضح المعالم ، يمكن أن يُدرس علمياً كما تدرس الجماعات المحصورة ، ويعطى عنه حكم يرقى إلى درجة الحقائق العلمية .

هل كوّن الإسلام أمة

لقد تعارفنا ان ندعو مجموعة المسلمين في العالم (بالأمة الإسلامية) ، غير أن هناك من الباحثين من يتطرف فيرى أنّ مفهوم الأمة العصري لا ينطبق على جماعات المسلمين الموزعة في أرجاء الأرض، ومنهم من يعتقد (أن الإسلام المجرد لم يستطع أن يوجد أمة بالمرة، وما وجدت أمة إسلامية واحدة منذ الفجر الإسلامي حتى أيامنا هذه

– كما يقرر بشير رفعت [١] – وأنه لن توجد هذه الأمة أبداً ... ولو شمل الإسلام الأرض برمتها) .

متى يبدأ التشتت

والواقع أننا لا نقبل حكم مثل هؤلاء الباحثين ، فقد استطاع الإسلام في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده أن يبسط حكمه على المسلمين كافة ، ويقيم بينهم رابطة اجتماعية لأمة واحدة، بكل معنى الكلمة ومما لا شك فيه، أن تماسك الأمر لم يدم طويلاً على ما كان عليه في عهد الإسلام الأول. ولكن تحديد النقطة التي بدأ منها تفكك الرابطة الإسلامية مختلف فيه : فبعض الباحثين – كمالك بن نبي – يحدّد موقعة صفين ويعلن أن العالم الإسلامي لم يعش بعد ذلك إلا بفضل ما بقي فيه من الدفعة الحية القرآنية فقام على رعايته رجال من أمثال عقبة وعمر بن عبد العزيز والإمام مالك ، ممن تجسدت فيهم فضائل الإسلام الكبرى [٢] . وباحثون آخرون كسيد قطب [٣] يحددون بيعة يزيد وانقلاب الخلافة إلى ملك عضوض ، وآخرون يحددون ذلك بنجاح العناصر غير العربية

(١) مأساة العربي المسلم ص ٧٧ .

(٢) مستقبل الإسلام – تعريب شعبان بركات ص ١٥ .

(٣) العدالة الاجتماعية في الإسلام .

والحديثة العهد بالإسلام في تحقيق الانقلاب العباسي على الأمويين. ومهما تكن آراء الباحثين، فإن الخلافة الإسلامية كانت مع الزمن، تبتعد عن روح الإسلام الأول ، بصفائه ووضوحه وبساطته وتلاقيه مع الفطرة الإنسانية، لتغرق شيئاً فشيئاً في الترف والترهل ، والمسؤولية في كل ذلك موزعة – كما يقول الشهيد عبد القادر عودة [١] – بين الجماهير والحكومات ورؤساء الدول وعلماء الإسلام، حتى ضاعت الخلافة في ظلام عصور الانحطاط، وتبلّد العقلية الدينية وتحجرها ، يقول ابن القيم : « جعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، – محتاجة إلى غيرها وسدّوا على نفوسهم طرقاً صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له وعطّلوها ، بتقصيرهم في معرفة الشريعة والواقع ، ولما رأى ولاة الأمور ذلك أحدثوا من أوضاع سياستهم شراً طويلاً ، فتفاقم الأمر وتعذر استدراكه ، وعزّ على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس واستنقاذها من المهالك [٢] » .

ابن القيم وتعطيل الشريعة

وذلك السقوط والانحطاط أمر منتظر ، لأن العالم الإسلامي فقد آنذاك روحه و « كل من يفقد قوته التصاعدية لا بد له من الانحدار بتأثير ثقله الذي

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية .

(٢) الإسلام والشيوعية لعبد المنعم نمر ص ١٢١ .

لا يقـــاوم » ، ومن هنا برز في المجتمع الإسلامي مفهوم (المحافظة) ، واعتبر فضيلة تلقته الأفهام العامة على أنه ابقاء ما كان على ما كان ، وأصبحت هذه النزعة المحافظة من أبرز خصائص عصر الجمود والانحطاط ، وكان الزمن يتطور في سيره ، وفتحت وسائل المواصلات والنشر ، عيون النائمين ، لتتطلع بدهشة إلى ما حققه العالم من تقدم في جميع الميادين المادية ، في غفلة المسلمين عن ذاتهم وعن واجباتهم الأمر الذي أدى إلى تزايد العدوان عليهم ، وعند ذلك جاشت الضمائر بآمـــال حائرة ثائرة ، ودبّت في العروق خلجات قوية دافعة خلاّقة ، وبدأت الأيدي تتلمس الطريق ، ولكن في شيء من الالتباس والحيرة ودون قدرة على تحديد الوجهة ، وانتهاج الجدد ...

يقظة حائرة

وكان من الجهل بحقيقة الإسلام « أن نشأت الفكرة القائلة بأن المسلمين لا يستطيعون مسايرة الرقي العالمي ما لم يتقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التي قبلها الغرب ، وأن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من ورطـة الانحلال الإسلامي » وقد فنّد ذلك محمد أسد في كتابه « الاسلام على مفترق الطرق » [1] .

لقد شمل العالم الاسلامي بعد الحرب العالميـــة الأولى

(١) ص ٧٧ - ٨٧ .

وموت « الرجل المريض » وسقوط الخلافة ، و « علمنة تركيا فراغٌ هائل ، وبلبلة كبرى ، فقد أخذت تتكشف نوايا الاستعمار أكثر فأكثر ، وزاد عدد الدارسين في معاهد الغرب من أبناء المسلمين ، الذين تأثروا بروح الغرب ، فكان لكل ذلك أثره في ظهور الحركات الاستقلالية من جهة ، والنزعات الفكرية المعـــادية للاسلام من جهة أخرى كما انكمشت العناصر المتدينة على نفسها . « والدين هو العامل المساعد على وجود القيم الاجتماعيـــة في مرحلة نشوئه وامتداده ... فإذا انطوى الإيمان على نفسه ، وكف عن الإشعاع ، انتهت رسالته ، وعجز عن بناء المدنية ، وأصبح إيمان الأتقياء الذين ينعزلون عن الحياة ، وينفلتون من واجباتهم ومسؤولياتهم » [1] .

فراغ ما بعد الخلافة

فلما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، بدا العالم الاسلامي أكثر أهمية من قبل ، فقد ظهرت منابع ثروته ، وأهمية مواقع بلاده في الاستراتيجية الدولية ، وتكونت أكبر دولتين إسلاميتين في العالم منذ كان العالم : باكستان ، واندونيسيا ، كما ظهرت منظمة الأمم المتحدة ، كرد فعل لويلات الحرب ، وظهرت قوة المعسكر الشرقي ، والتفتت الأنظار إلى مبادىء الشيوعية ، وخاصة بعد تكوّن

بعد الحرب العالمية الثانية

(١) مستقبل الاسلام ص ٣٢ .

الصين الشعبية ، وحرب كوريا والفيتنام ، وكثرت وفود الزائرين لدول الستار الحديـدي ، فأخذت تظهر بعض حقائقه بحسناتها وسيئاتها ، كما اختمرت فكرة العودة إلى الإسلام الأصيل لدى دعاتهـا ، فاتصلت حركة الاصلاح الإسلامي من روح ابن تيمية ، حتى نهضة حسن البنا ، بتكوين الاخوان المسلمين ، كبرى الحركات الإسلامية في هذا العصر ، – على ما أصابها من محن وابتلاء – ، وتطعمت الأفكار بالمبادىء الأجنبية المختلفة ، ووجد المسلم نفسه في مجتمع لم يقم هو بتكوينه ، ولا بد له فيه من حفظ كرامته في حياة مستقرة ، مدفوعاً إلى ذلك بنزعتين : « نزعة الاصلاح التي تتصل بالضمير الاسلامي والنزعة الحديثة »[1].

مدّ وجزر

وهكذا أضحى عالم المسلمين بين مدّ وجزر فلا هو في حيوية الاسلام الخلاّقة النامية الأولى ، ولا هو في جمود عهود الانحطاط ! ولا هو في سنن المدنية المعاصرة غربية أو شرقية ، ولا هو في نهضته واعي المسالك ، متضح الهدف والمعالم ، وقد يعبر عن وضع المواطن المسلم حيال كل ذلك شاعر معاصر إذ يقول : [2]

..واستيقظتْ في فِجاج الأرض مُشكلتي
وشِمْتُني وسط إرغاءٍ وإزبادِ

(١) مستقبل الاسلام ص ٣٢ .
(٢) من قصيدة للمؤلف في ديوان « في بلادي » .

في أمةٍ مَزّعَت أوصالها غِيَرٌ
عَبْرَ الزمان ، فمن عادٍ إلى عادِ
وقد أطلّ عليها غابرٌ صُنعتْ
أيامُه الغرُّ من خيْرٍ وأمجادِ
تريد أمراً ولا تدري وسيلتها
المثلى إلى حطم أغلال وأصفادِ
وقد أحاطتْ بها من كل شاردةٍ
مناهج ليس تدري أيها الهادي
في غورها وثبةٌ حارت معالمها ،
وهَمُّها ملء أحشاءٍ وأكبادِ ...
تأوّهَتْ في دمي آلامها وبكتْ
فَحَشْرَجَتْ في فمي أنغام إنشادي
وإبتُ ملتبِسَ الآمال يثقلني
من الهموم سفيرٌ رائحٌ غادِ
لا أستبين مدى عزمي ولا جلدي
أحيا كهاجسةٍ في غور آبادِ ...

مجتمعات اسلامية متباينة:

في هذه الغمرات يجد الباحثون أن المجتمع الإسلامي أضحى في الواقع مجتمعات عدة ، تخضع لمختلف التأثيرات السياسية والفكرية والاجتماعية ، في إطار العالم الكبير المصطرع المتخاصم ، حتى عادت « دار الإسلام » دوراً

مختلفة تكاد كل منها تنحصر في إطاراتها الخاصة بها . على أن المعنى الإسلامي المستوعب بقي قائماً بينها بشكل اخوّةٍ عزلاء متراخية ،لا تمارس مهمتها في حياة الأمة الإسلامية .

سيادياً

فعالم المسلمين اليوم متباينٌ سيادياً : فيه دول مستقلة، ودول شبه مستقلة ، تتأثر بالنفوذ الأجنبي في كثير من تصرفاتها، وفيه دول ما تزال تكافح بصبر وعزم وإيمان ، لتنتزع سيادتها غلابا من جبابرة المستعمرين ، وفيه مجموعات إسلامية كبيرة أو صغيرة مصهورة في بواتق دول غير إسلامية .

سياسياً

وعالم المسلمين اليوم متباينٌ سياسياً : فيه دول تدور في فلك الغرب علانيـة ، ودول ذات ميول إلى هنا أو هناك ، قد تظهرها حيناً وقد تسترها بدعوى الحيـاد . وقد يكون من الأصدق في هذا المجال أن أستعمل لفظ الحكومات بدل الدول ، لأن الغالبية العظمى من الشعوب – على ما يبدو لي – تنزع بإخلاص وإيمان إلى الحيـاد الايجابي بين المعسكرين ، دون تمحيص في أنه ممكن في الواقع أو غير ممكن .

مذهبياً

وعالم المسلمين اليوم متباين مذهبياً ، في الأصول وفي الفروع : فأما في الأصول ففيه دول أو حكومات علمانية صرفة ، كالجمهورية التركية ، وجمهوريات المسلمين التابعة

للاتحاد السوفييتي . وفيه دول إسلامية لا تعمل على أساس قومي كباكستان . ودول تنص دساتيرها على إسلاميتها وللقومية في حياتهـا العملية أثر كإيران وأفغانستان وإندونيسيا وسواها ، وفيه دول تنص دساتيرها على الإسلامية وعلى القومية في وقت معـاً ، كبعض الدول العربية .

وأمـا في الفروع ففي عالم المسلمين اليوم فرق شتى ومذاهب مختلفة : ففيه أهل السنة ، والشيعة ، والدروز والنصيرية وسواها . كما أن في البلاد العربية الإسلاميـة أقليات غير مسلمة تعيش مع المسلمين ، لها ما لهم ،وعليها ما عليهم .

فهل يستطيع إنسان بعد هـذا الاستعراض المختصر لواقع عالم المسلمين البعيد عن حقيقة الإسلام ومناداتـه بالمسلمين « أمةً واحدة » والذي لا يقتصر التباين فيه على عقائد الأفراد ، ولا يجمد في إطارات تفكيرهم الشخصي، بل ينعكس في حياتهم كجماعات ، ويتعداهم إلى الآفاق الواسعة في السياسة والاجتماع والاقتصاد – هل يستطيع إنسان مهما بلغ من الإحاطة والعلم أن يفرض لعالم المسلمين هذا ، مجتمعاً واحداً يبسطه على منصة الفحص ، ويدرس تفاعله مع ماضي حياته وحاضر عصره ، وتأثيره بالقيم الاجتماعية الحديثة ، والأفكار المعاصرة التي تطل عليه من

أرجاء العالم ، بل تحاول أن تقتحمه وتتحداه في تخطيط ماكرٍ ، لتحويلٍ حضاريٍ شامل ،فيخرج من كل ذلك بأحكام محددة ، ونظريات ثابتة ، يبني عليهـــا مناهج العمل ، واثقاً مطمئناً إلى علمية خطواته في مستقبل حياة المسلمين ؟! إنني لا أعتقد ذلك الآن، ولا أستطيع ادعاءه لنفسي على الأقل . كما انني لا أعتقد استحالته في ظروفٍ قادمة قد تكون بعيدة العهد .

معالم متلاقية

فاليوم هناك إذن مجتمعات إسلامية عدّة قد تتقارب وقدتتباعد، أرضاً وسيادةً وسياسةومذاهب،ولكن ذلك لا يمنع من وجود عناصر أساسية مشتركة بينها،وخطوط كبرى يمكن رسمها في تحديد معالمها ، والاعتماد عليها في دراسة اتجاهاتها العامة ، دراسة يمكن أن تؤدي إلىأحكام مرنة ، ولكنها بما تستند إليه من نظرٍ في أعماق التاريخ، وتدبُّرأحوال الأمم،وتمحيص سير الحضارات تقدماًوقهقرة، ركوداًوانبعاثاً،قد ترقى في جملتها إلى مستوى اليقين المجمل العام ، دون تحديد لأسبابها وملابساتها ؛ في هذه الحدود أبيح لنفسي أن أتابع معالجة الموضوع الذي نحن بصدده.

المد الاسلامي بين التضاؤل والحيوية

إننا كما يقول ابن نبي [1] : « لسنا بإزاء النظم بـــل بإزاء العامل الإنساني ، حين يعجز النـــاس عن استخدام

(١) مستقبل الاسلام ص ٣٢١ .

عبقريتهم للاستفادة من أرضهم وزمانهم » . فهـل توقف مدُّ الروح الإسلامي بعد دفقاته الزاخرة بالحياة ، في زمن الرسول ﷺ والخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – ؟ أجل ! لقد توقف إلى حد ما ، أو بالأحرى أخذت حيويته بالتضاؤل شيئاً فشيئاً ،قليلا أو كثيراً ،لسبب أو لآخر ، فلم يكن هذا التوقف في يوم من أيام التاريخ الإسلامي خلال القرون الأربعة عشرة توقفاً كاملاً ، ولا كان هذا التضاؤل ضعفاً في هذا الروح عن الامتداد ، ولا قصوراً عن مجاراة تطور الحياة ، فما كادت المصادفـــة تسوق إلى الإسلام خليفة فيه بقية من روح الخلافة الراشدة في شخص عمر بن عبـد العزيز ، حتى عاد المدُّ الإسلامي للظهور ، وعادت الحكومة إسلامية حقيقية .

زعازع ونكبات

ولا يعدم تاريخ الإسلام أن يقدم أمثلة أخرى غير ابن عبد العزيز . والروح الإسلامي باقٍ رغم ما أصاب الإسلام من زعازع ونكبات: مقتل عمر وعثمان،وحروب علي ومعاوية ، وتحول الخلافة إلى كسروية وقيصرية ، وغزو التتر ، ونكبة الأندلس ، والحروب الصليبية ، وانقراض الخلافة ، وعلمنة تركيا ، وفتك الاستعمار في العالمين العربي والإسلامي ، وقيام إسرائيـــل ، ومحاولة غزو مصر أخيراً [1] ، وغيره كثير مما لو تصدى للجبال

(١) كان ذلك حتى عام ١٣٧٧ - ١٩٥٨ وقد أضيف إليه اليوم وأربى عليه نكبـــة الاسلام الكبرى بضياع فلسطين وسقوط القدس ومسجدها الأقصى بيد اليهود !

لدكّها ، وللمدنية العـامرة لهدّها ... لكن عالم المسلمين يواجه هذه الجائحات ثابتاً لم ينقطع عنه مدد الحياة ، فلا يضعف إلا ليشتد ، ولا يتراجع إلا ليندفع ، لا تغـادره فكرة تأدية رسالة الإسلام .

قدرة الاسلام

يقول البروفسور جب (١) : « إن الإسلام ما زال في قدرته أن يقدم للإنسانية خدمـة سامية جليلة ، وليس هناك أية هيئة سواه، يمكن أن تنجح نجاحاً باهراً في تأليف الأجناس البشرية ، المتنافرة ، في جبهة واحدة أساسها المساواة » .

التصور الاسلامي للحياة

ومشكلة البشر الأساسية (٢) « مشكلة النظرة إلى الحياة بالنسبة إلى مكانها من الوجود .. فهل الحياة منقضية بالموت أم خالدة مع الإنسان ، وهل هي وجود ينتهي إلى عدم ، أم وجود ممهد لوجود آخر ؟

إن أكثرية المسلمين العظمى على اختلاف مجتمعاتهم تؤمن بالحياة الآخرة، وبوحدانية الله ، ورسالات أنبيائه، وبالقرآن الكريم ، وتتعبد الله بلسانه العربي المبين ، تعتز بالإسلام وأمجاده ، وتحزن على ما نزل بالمسلمين من فواجع،

(١) في كتابه حيثما يكون الاسلام .
(٢) مأساة العربي المسلم لبشير رفعت ص ١٢ .

وتتمنى رأب الصدع ، وتشعر بحرارة الأخوة الإسلامية ، رغم بعد الديار ، وتتأثر بالمثل الإسلامية العليا ، وهـذه معان ليست من ضآلة الشأن كما يظن ، ولو أتيح لهـا من يروّضها ، وينفخ فيها من روح الرسالة الأولى ، لصنعت في الكون عجباً عجابا ، وما يحول دون ذلك إلا عوادي الزمن ، واختلاف وجهات النظر ، والتأثر بالأفكار المعاصرة ، والقيم الاجتماعية الحديثة، كالقومية والانسانية والعالمية ، والاشتراكية المادية والشيوعية ، والعلمانية ، والوجودية ، وبعض الأفكار والنظم السياسية الأخرى ، كالرأسمالية والنازية والفاشية والدعوات التي تتنكر بأقنعة التعايش السلمي والحياد الايجابي .

المواجهة بين الغرب والمسلمين

لقد لفتت أحداث أوائل القرن العشرين أنظار المسلمين إلى الغرب أكثر من قبل ، فرأوا ألواناً جديدة من الحياة ، كما لفتت أنظار الغرب إلى أجزاء الامبراطورية العثمانية المنهارة ، فعملت دوله على بسط نفوذها عليهـا بالحماية والانتداب والاستعمار ، وبدأ من هنـا صراع من نوع جديد جعل حياة العالم الإسلامي ثورة إثر ثورة ، تهدأ هنا لتبدأ هناك ، ولم تستطع وسائل الاستعمار على براعتها في المكر والفتك أن تقضي عليها ، لأن الحياة أقوى من الموت ، والكرامة أبقى من الذلة ، والحق أظهر من الباطل « إن الباطل كان زهوقاً » .

آراء وقيم ومخترعات

في هـــذه الغمرة ، ومن تلكم الثغرات ، وجدت الآراء المعاصرة والقيم الاجتماعية الحديثة طريقها إلى عقول المسلمين وأمزجتهم وأذواقهم ، يبشر بها ويدعو لها اغراء ينسجم مع غرائز الانسان ، ووسائل ومخترعات ترفه عن الناس وتوفر عليهم كثيراً من العناء ، وكانت الحرب العالمية الثانيـــة ، فتجسمت بعدها الأوضاع التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، ومضت المخترعات الحديثـــة والمغريات ، أشواطاً بعيدة جداً في التأثير بالمسلمين . وكان يواكب كل ذلك تولد وانتشار مذاهب جديدة ، وآراء وقيم اجتماعية حديثة ، تستهوي العقول ، وتجتذب الناشئة ، وتتفـاعل مع الحياة وتعمل عملهـــا في صبغ المجتمعات الإسلامية بأصبغة لم تألفها من قبل .

قد تكون القومية هي الفكرة الأكثر بروزاً بعـــد الحرب العالمية الأولى ، وقد تكون الاشتراكية والشيوعية هما الفكرتان الأكثر بروزاً بعد الحرب العالمية الثانية في الشرق والغرب جميعاً وإن كانت لهذه الأفكار أعماقها ، قبل ذلك بكثير ، ولا عجب بالتالي أن يكون تأثر عالم المسلمين بهـــذه الأفكار أكثر من تأثره بسواها من الأفكار والقيم والمذاهب الجديدة ، ولذا فإنني سأقصر البحث عليهـــا ، وسأخص القومية العربية بنصيب أوفى ، لا لأنني عربي ، ولكن لأن للعروبة اعتبـاراً خاصاً في ذاتها وفي آثارها

بالنسبة للاسلام والمسلمين .

معسكران كلاهما مادي

إن العالم بعد حربين متواليتين ينقسم اليوم إلى كتلتين كبيرتين : الكتلة الشيوعية في الشرق ، وكتلة الرأسمالية في الغرب . يقول سيد قطب [1] : « اننا نعتقد أنه انقسام ظاهري لا حقيقي ، وأنه على المصالح لا على المبادىء ، وأنه على السلع والأسواق لا على العقائد والأفكار ، فطبيعة التفكير الأوروبي الأمريكي لا تختلف عن طبيعة التفكير الروسي . كلتـــاهما تقوم على تحكيم الفكرة المادية في الحياة » .

ويدافع البروفسور جب [2] عن هذه النظرة المادية إلى الغرب بقوله : « لا محل للتعجب من كون علمـاء المسلمين يعتبرون أن الغرب ينغمس في مـــادية خالصة ، فإنهم يجهلون ما وراء المظاهر الخارجية لمـادية الغرب ، ويحاكمون ذلك على صعيد انعكاساتها في الحياة الاسلامية ، وفي التآليف الإسلامية ، مع أن الانعكاسات في أساسها لا تمت إلى روح العقيدة الغربية إلا بصلة وهمية غالباً » . ولا أدري هل يعتقد البروفسور «جب» في أعماقه أن المدنية الغربية — بصرف النظر عن رأي المسلمين فيها — تتفق

(١) العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٢٦٣ .
(٢) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٩٢ .

من قريب أو بعيد مع روح العقيدة المسيحية التي لا أظنه يدعي للغرب عقيدة دينية سواها ؟

ومهما يكن من أمر ، ألا يعــذر علماء المسلمين إذا نظروا للغرب النظرة السالفة التي عبّر عنها سيد قطب ؟ ألا يعترف البروفسور جب نفسه بأن العلماء الغربيين « هم الذين سهلوا وسائل نبذ السنة وأزالوا نفوذها [1] » ويقرر « بأن المؤثرات العلمانية الغربية جاءت إلى منزل خال ، ودخلته عن طريق العلم والاقتصاد والسياسة والأدب الغربي ، وعن طريق قوة التعليم العلماني، وطغيان وسائل المواصلة والمصانع ، وكثير غيره مما تسرب من الغرب [2] » ؟..

استعمار وتبشير وتعصب

أجل لقد عملت كل تلك المؤثرات عملها ، ليس بالأسلوب الذي سبق للحضارة الإسلامية أن أثَّرت فيه بالغرب ، ولكن في ظل خطط استعمارية واستثمارية وتبشيرية مرسومة ، بعيدة كل البعد عن روح النصرانية الأصيلة ، والتعاون الانساني، لا تستهدف خير المسلمين ، وإنما ترمي إلى تصيُّدهم واستغلالهم ، وتستأثر دونهم بخيرات المثل العليا ، التي قد تؤمن بها وتدعو إليها .

(١) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ١٢٨ .
(٢) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٩٦ .

لم يستوح الغرب تصرفاته حيال العالم الإسلامي من نظرته المجردة إلى الإسلام ، بل أصبح تعصبه على الإسلام جزءاً من تركيبه العضوي الموروث — كما يرى غوستاف لوبون [1] — .

ومن يقرأ في التاريخ معاملة الخلفاء المسلمين للعلماء والأدباء من غير المسلمين ، وتبني الحضارة الإسلامية لنتاج الحضارات القديمة ، وتقديمها بأمانة للإنسانية ، وموقف الإسلام من حياة غير المسلمين في ظلال الحكومات الإسلامية ، ويوازن بينه وبين ما صنعه الغرب ، حين قويت شكيمته، في المسلمين، يتضح له الفرق بين السياستين والروحيتين ، ومدى بعد نصرانية الشرق الخالصة عن عدوان الغرب الجائر ، بله سماحة الاسلام.

أهم المذاهب المعاصرة

قلت ان القوميــة والاشتراكية والشيوعية هي أهم الأفكار والقيم الحديثة ، واني لهذا سأخصها بدرس أثرها في المجتمعات الإسلامية ، لأن المذاهب الأخرى التي سبق واستعرضتها لا تخرج عن خطوطها الكبرى : فالمادية التجريبية تتفق مع الشيوعية في كثير من أسسها ، وما العلمانية الالحادية إلا من أصداء الشيوعية وآثارها وإن

(١) مستقبل الإسلام . مالك بن نبي ص ٢٩ .

لم تكن دائماً قد نتجت عنها ، وأما العنصرية والنازية والفاشية فنغمات قد خفت صوتها ؛ والوجودية ، إن تكن أحدثت صدى فذلك قاصر على فئات محصورة من المتطرفين أو المترفين المنحلين ، وهو صدى ضال لا يعدو أن يكون رعشةً مرضيةً مراهقة . أما الإنسانية العالمية فيكتنفها في عالم المسلمين عاملان : سلبي ، فيه التخوف من أن تكون وسيلة استعمار ، وإيجابي ينسجم مع إنسانية الإسلام في عالمية دعوته .

•

القومية وجود حي

فلنعد إلى القومية وليست في اعتباري مذهباً ، وإنما هي واقع تاريخي ، ووجود جغرافي وحقيقة إنسانية ، فالعالم معمور بأقوامٍ هنا وأقوامٍ هناك ، فهو مكونٌ من شعوبٍ وقبائل ، وبلغة العصر مكونٌ من قومياتٍ متعددة متميزة ، يقول الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذَكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ويقول : « ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » .

ومن نواميس الطبيعة البديهية التي ترددها الأمثال السائرة : أن شِبه الشيء منجذبٌ إليه ، وأن الجنس يألفُه الجنس ، فمن نتيجة التفاعل الاجتماعي بين الجماعات البشرية عَبْر العصور تكونت الأقوام المختلفة ، وتكوّنت قومياتها .

القومية في هدي القرآن

فالقومية هي[1] : « الواقع اللغوي والتاريخي والثقافي والجغرافي والاجتماعي العام » ، وقد أراد الله للقوميات (الشعوب والقبائل) أن تتعارف ، في المعنى الواسع للتعارف الذي يقتضي حسنَ الصلة ، والنظرَ في خصائصِ ومميزات كل قوم ، وتبادلِ المنافع ، وأعمار الكون ، وتحري المصلحة العامة ، كل ذلك وسواه ، مما يهدف إليه ويدل عليه التعارف ، ثم التقوى حيث يكون الرجحان والاكرام .

فليست القومية عنصرية ، لأن كل الأقوام (من ذكرٍ وأنثى) وليست إنعزالية ، لأنها (لتعارفوا) ، وليست تعصباً وأنانية لأن (أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقد يكون « تحديد جغرافية العالم على أساس القوميات الواعية ، هو الطريق الطبيعي الأفضل لسعادة الإنسانية وخيرها وإبداعها »[2] . ولا يتنافى ذلك مع الرسالة الإنسانية السامية المشتركة التي يحقق بها البشر خلافة الله في الأرض.

وإذا كان وعي القومية في عالم الغرب ، ومن تقمَّص روح الغرب ، قد تدرَّج بمراحل ، ورافقته أحداثٌ ،

---

(١) مع القومية العربية ص ١٢ .
(٢) مع القومية العربية ص ١٢ .

وانتهى إلى نتائج، واتخذ أشكالاً معيّنة، قد تنحرف أحياناً عن مفهوم القومية الإنساني السامي الذي أسلفناه، وقد تتطاول أحياناً أخرى، فتجعل من القومية عقيدةً، وتبالغ إلى حد الردّة فتنادي بها ديناً !! فليس معنى ذلك أن القومية المجرّدة كوجودٍ حي في حدٍّ ذاتها، يسوغ أن يحكم عليها، من الوجه المنحرف، مع الغرب في انحرافه.

جهل للإسلام

لقد كان جهلُ المسلمين بالإسلام، أو بالأحرى العملُ على تجهيلهم، ولفتِ أبصارهم عن بعض حقائق الاسلام، لمآربَ سياسية، أهمها إبعادُ العرب الذين اختارهم الله مهداً لدعوته، واختار جزيرتهم منطلقاً لشريعته، واختار أشرفهم محمداً (عليه الصلاة والسلام) حاملاً لرسالته؛ لقد كان هذا التجهيل، وما أدى إليه من نتائج خطيرة، صارفاً لنفوس المسلمين، عن تفهُّم معنى القومية الصالحة التي لا تتنافى قط مع الإسلام، بل تؤدي مهمتها في خدمة البشر كافةً، في ظل رسالة الإسلام، وهدي شرعه المبين.

تأثرٌ بالغرب

وقد صادف تبلور مفهوم القومية في أوروبا، وآثارُه في جغرافيتها وتاريخها، وأحداثها السياسية، تردّي الخلافة العثمانية، ثم سقوطها وانمحاءها بالمرة، وتنبه أفكار المسلمين من مختلف القوميات، والعرب خاصةً، واندفاعهم لإشادة كياناتهم الجديدة، بعد أن أصبحوا

بعثرةً في الأرض، ورافق ذلك تغلغل الأفكار الغربية في عالم المسلمين، والتأثر بالقيم الاجتماعية، والمذاهب الأجنبية، ومن جملتها القومية بمفهومها الغربي !

تفتحٌ غير سديد

وهكذا تفتحت أعين المسلمين، في تلك الحقبة، على القومية تفتحاً غير سديد، لأنهم لم يبحثوا عن قومياتهم السليمة في ظل الاسلام قبل انحرافهم عن حقيقته، بل تلقفت عقولهم ونفوسهم القومية الواردة من الغرب، كما تلقفت كل صادراته الفكرية وغير الفكرية. فبدأت الحركات القومية طريقها على غير هدىً وصراط مستقيم، ووجد من نفخ فيها روح الشطط والمغالاة، ونشأت من هنا الخلافات الكبرى بين دعاة القومية الجديدة، ودعاة الاسلام.

فالذين بشّروا بالقومية العربية أول الأمر مثلاً، ووضعوا لها نظرية علمية ... قد نَفَوا الاسلام كعنصر رئيسي في تكوين الأمة العربية (١) وكان من ثمرة هذه الخلافات تباعدٌ في صفوف العناصر الواعية العاملة، أدى إلى توزع قوى الاصلاح في العالم الاسلامي عامةً، وفي العالم العربي خاصة، ما زالت آثاره الضارة تتفاقم وتعمل عملها الهدّام حتى اليوم.

---

(١) – مأساة العربي المسلم صفحة ١١٠ – بشير رفعت.

عودة إلى الصواب

بيد أن توضُّحَ الحقائق مع الزمن ، وعمقَ الثقافـــة الاسلامية والقومية ، وتبصُّر العقلاء المخلصين في جرثومة ونتائج هذا الخلاف الذي لا يوجد ما يدعو إليه ، أخذَ يقرِّب من وجهـــات النظر ويقضي على بذور الخلاف ، وسينتهي في اعتقادي إلى نبذ المتطرفين وتهافت دعواتهم ، وتوحيد جهود القوميين المؤمنين والاسلاميين الوعاة ، في حقول الاصــلاح ، لمصلحة رسالتهم المشتركة وواجبهم المقدس . وسأعود إلى تفصيل جوانب من هذا الموضوع عند بحثي بعد قليل عن القومية العربية والاسلام بوجه خاص، وحسبي أن أقرر الآن مع دعاة القومية النيرين[1] أن الانسانية الحق تبتدىء من القومية الحق ، وأن القومية المعوجة تؤدي إلى إنسانية معوجة ، ففقدان الوعي القومي الانساني الصحيح هو الذي يسبب الحروب والاستعمار ، فما لم يعمل الانسان على تحقيق إنسانية المجموع القومي الذي يحيا فيه ، ويربطه التاريخ به ، لن يستطيع أن يعمل على تحقيق إنسانية الانسانية جمعاء » ، وهـذا يتفق مع روح الاسلام الواقعية ، وآفاقه الواسعة ، ونظرته العميقة في معالجة حاجات البشر بشكل مرن ، يميزه عن سواه من الشرائع والأنظمة والمذاهب ، ويجعله المصدر الخالد عن

(١) مع القومية العربية من صفحة ٣٠ إلى ٣١ .

جدارة في هداية البشرية .

نقدَة الدعوة العربية

يقف أكثر المسلمين غير العرب ، وكثير من دعـــاة الفكرة الاسلامية العرب أيضاً من الدعوة العربية موقف النقد، وقد يذهب بعضهم في ذلك إلى حد التطرف، فيرى هذه الدعوة مروقاً عن الاسلام !!

ولعل المراحل الأولى التي درجت عليها الدعوة العربية في العصر الأخير ، والملابسات التي نشأت في ظلها – كما أسلفنا – وإلباسها ثوب الحركات القومية الغربية المعادية للدين الكنسي وتعميم ذلك على الدين اطلاقاً دون التفاتٍ إلى الفارق العظيم بين الاسلام وسواه ! وبعض التصرفات التي تصدر حتى الآن من نفر من العرب القوميين ، تسوِّغ هذا الموقف الناقد أو المهاجم . ولست هنـــا في صدد الانتصاف لهؤلاء على هؤلاء أو بالعكس ، وإنما يهمني أن أجلو حقيقةً بالغة الخطورة ، نابعةً من صميم الاسلام منذ إشراق النبوة المحمدية، ويبقى لها تأثيرُها في حياة الاسلام والمسلمين إلى أن تقوم الساعة :

تمحيص والتماس للحق

هل كان اختيار الله، لمحمد بن عبد الله، ليحمل رسالة الاسلام، رحمة للعالمين، مصادفةً واعتباطاً؟ أو لمزايا خاصة به ﷺ ، دون أن يكون لعروبته وللقوم الذين نشأ

بينهم ، وللجو الذي نشأ فيه أي أثر لذلك؟وهل الرسول خيار في ذاته فقط ، أم أنه خيار من خيار في قومه وعشيرته وأسرته؟ وهل هذا التميّز في قومه ، إن وجد، تميز شخصي قاصر على أفراد هم منحصر في نطاقهم ؟ أم أنه تميُّز اجتماعي ممتد ، يبوئهم الجدارة لحمل رسالة عالمية ضخمة ، وأمانة رهيبة مقدسة ، كالاسلام ؟ !

خيار من خيار

حدّث عمرو بنُ دينار عن عبد الله بن عمر قال : « أنا لَقُعود بفِناء رسول الله ﷺ ، إذا مرت امرأة ، فقال بعض القوم : « هذه ابنة محمد » فقال رجل : « إن مثل محمد في بني هاشمٍ مثلُ الريحانة في وَسَط النَتْن ، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي ﷺ ، فجاء يُعرف في وجهه الغضب ، ثم قام فقال ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ؟! إن الله خلق الخلق؛ فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريشٍ بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار ؛ فمن أحب العرب فبحبي أحبّهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم (١) » وفي حديث آخر مسندٍ إلى رسول

(١) حديث حسن أخرجه الحاكم في المستدرك صفحة (٣) – ٤ – من كتاب القرب في فضل العرب للإمام زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المتوفى سنة ٨٠٥ .

الله ﷺ انه قال : « أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي » (١) .

العرب والإسلام

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « أحبوا العرب وبقاءهم ، فإن بقاءهم نور في الإسلام ، وإن فناءهم فناء في الإسلام .

وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: « إذا ذلّت العرب ذل الإسلام (٢).

وعن طلحة بنِ مالك أن رسول الله ﷺ قال: « إن من اقتراب الساعة هلاكَ العرب » (٣) .

العربية اللسان

وهناك أحاديثُ أخرى لا يتسع المجال لسردها. وقد ذكر الدكتور اسحق موسى الحسيني في كتابه « أزمة الفكر العربي » حديثين : أحدُهما عن ابن كثير عن معاذ بن جبل عن النبي انه قال : « الا إن العربية اللسان ، الا إن العربية اللسان » وثانيهما : رواية الحافظ ابن عساكر بسنده عن مالكٍ قولُ النبي ﷺ :

(١) المرجع السابق صفحة ٧ وفيض القدير .

(٢) المرجع السابق صفحة ٨ ، حديث صحيح .

(٣) المرجع السابق صفحة ١١ .

« ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » وفي جماع هذه الأحاديث بيانٌ للعلائق الوثقى بين العروبة والإسلام ، وبيان لفضل العرب وجدارتهم ، مع بيانٍ لمرونة الإسلام في توسيع نطاقهم ، والبعد في ذلك عن العنصرية والعصبية . وإننا لو درسنا وضع العرب قبل الاسلام ، وانعزالهم في صحرائهم عن العالم المتمدن المتفسخ في امبراطوريتي الفرس والروم ، لجاز لنا أن نشبه عُزلتهم تلك من محيط العالم إلى حدٍّ ما بعُزلة محمدٍ عن قومه في حراء قبل النبوة ، وكما كانت عزلته ﷺ تصفي روحه وتعد نفسه للحدث الإلهي الإنساني الخطير فقد كانت تلك العزلة الصحراوية للعرب في جزيرتهم تحفظ خصائصهم ، وتعدهم ليكونوا بالاسلام شُعلة الهداية ، وطليعة الفتح ، والكاهلَ القوي الذي سيحمل العبء العظيم .

عزلتان عن الشر

ومما يدعو إلى التفاؤل أن عدداً من المفكرين العرب ، الذين كانوا يدورون في فلك الدعوات القومية ، قد وضّح بمزيد من البحث والتحري عن الحق ، أن القومية العربية إنما تهذبت وتركزت وتطورت ومارست جدارتها بالاسلام ، الذي استبدل قيماً بأخرى ووضع للتلاقي القومي ، وللحياة الانسانية كلها ، مقاييس جديدة فأصبح هؤلاء المفكرون يميزون بين القومية العربية كواقع جغرافي

الإسلام هو الأساس

ووجود اجتماعي ، وبين الدين الاسلامي ، الذي هو رسالة تعالج الحياة وتتجه بها دائماً نحو الأفضل .

بل أكثرُ من ذلك إننا لنجد الوعي القومي العربي الاسلامي قد بلغ درجة تدرك أن القرآن والاسلام هما اللذان كوّنا القومية العربية . حتى أن الدكتور طه حسين قد حاضر في مؤتمر أدباء العرب الذي عقد دورته الثالثة في القاهرة بين التاسع والخامس عشر من كانون الأول ١٩٥٧ (١٥/٩ ديسمبر) فقال [1] : « القومية العربية إذا أردنا أن نعرف متى تكونت بالمعنى الدقيق لكلمة القومية ، فينبغي أن نرد هذا إلى ظهور الإسلام . فالمكوّنُ الحقيقي للوحدة العربية بجميع أنواعها وفروعها : الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية أيضاً إنما هو النبي ﷺ ولم ينتقل الرسولُ إلى جوار ربه إلا وقد تمت وحدة الجزيرة العربية ، ووُجدت قوميةٌ عربية منظمة ، لها قانونُها وهو القرآن ، ولها نظامُها الأساسي الذي يقوم على ما دعا إليه القرآنُ من العدل والانصاف والمساواة بين الناس ... وعن هذا الطريق « أسرع الاسلام إلى القلوب والعقول والضمائر والوجدان ثم لم يسرع وحده فالاسلام

رأي طه حسين

(١) محاضرات المؤتمر مطبوعة بالآلة الكاتبة .

إنما هو مشتق قبل كل شيء من القرآن ومن حديث النبي . القرآن عربي ، وحديث النبي عربي ، والذين يسلمون دون أن يعرفوا العربية إنما هم في حاجة إلى أن يؤدوا هـذا الفرض الأساسي من فرائض الإسلام ، وهو الصلاة ، وهم في حاجة إلى أن يعرفوا أصل هذا الإسلام وهو القرآن ، فما أسرع ما انتشرت اللغة العربية بينهم » .

الاسلام شخصية الأمة العربية

ثم قال الدكتور : لقد أنشأ الإسلام قوميةً عربيـة جديدة لم تكن تأتلفُ من عنصر عربي خالص ، وإنمـا كانت تأتلف من جميع العناصر التي كانت في البلاد التي دانت بالإسلام ، وقد أنشأ منها أمةً جديدة ، ألغى في قوميتها الفروق بين الأجناس ، وأنْ يكون لعربي على أعجمي فضلٌ إلا بالتقوى .

وأنهى الدكتور طه حسين محـاضرته بقوله : « من المحقَّق ان البلاد التي يتألف منها العالمُ العربي الحديث لا يمكن أن تكون مؤلفة حقاً من عناصرَ عربيةٍ ، خالصةٍ إلى عدنانَ وقحطانَ ، وإنما هي عربيةٌ بلغتها وشعورها وعقلها ووجدانها ودينها ... وأخصُّ مزايا القومية العربية هذه أنها حرةٌ متسامحة ، وأنهـا مفتوحةُ الأبواب لا مغلقتها ، وأنها متعاونةٌ مع الذين يحبون التعاون معها . فهي قبلت الثقـافاتِ الأجنبيةَ في عصورها الإسلامية

الأولى ، قبلت ثقافة الهند والفرس واليونان ، وكثيراً من الثقافات القديمة، وصاغتها وجعلتها عربيةً (إسلامية) ولم تستأثر بها ، ولكنها جعلت تنشر ما تستطيع نشره في الشرق والغرب جميعاً .

دعوة اسلامية لتبنّي الوحدة العربية

وقد كانت جُل مقاطع محاضرة الدكتور طه حسين ، التي تنوه بالصفة الإسلامية للقوميـــة والأمة وا لوحدة العربية ، تقابَل من مجموع المؤتمرين الذين يمثلون الوعي العربي في عالم اليوم بالاعجاب والتأييد . وانني لآمُل في إيحاء هذا الاتجاهِ الجديد الرشيد، ان تتضافر قوى العاملين للاسلام والعروبة ، لخير الأمة العربية ولتحقيق وَحدتها، ولمصلحة الإسلام والمسلمين، كما انني أصدر عن صميم عقيدتي الإسلامية حين أدعو هـذا المؤتمر ، ومَنْ ورائه الدول والهيئات والكفاءات الضخمة التي يمثلها الى تبني الوحدةِ العربية ، والجهادِ القائم لتحقيقها في دنيا العرب، في غمرة من مؤامرات الاستعمار، وفساد النظم والأوضاع، وتهـاتر الهيئات والأحزاب ، وضعف الحكومات والرؤساء عن النهوض بهذا العمل الجبار ، الذي سيكون تحققه — ولا شك — نقطةَ التلاقي في الجد بين مستقبل الإسلام القريب، وماضيه المحمدي المشرق .

لقد كانت للعرب لغتهم وأرضهم وكل خصائصهم ملكاً

العرب كاهل الاسلام الأول وملك رسالته

خالصاً لهم كما لكل أمة مثل ذلك ، حتى إذا بعث الله محمداً العربي من جزيرة العرب خاتماً لأنبيائه ورسله، وأنزل عليه قرآنه بلسان عربي مبين ، وقال : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ودعاهم أن جاهدوا في الله حق جهاده ؛ منذ ذلك الحدث العظيم – الذي اتصل فيه لآخر مرة في الدهر وحي السماء بالأرض – انخلعت عن العرب ملكيتهم لأنفسهم ، وأصبحوا برجولتهم كلها ، وأرضهم كلها ، ولغتهم كلها ، وأمتهم ومزاياهم وخصائصهم كلها ، ملكاً للدعوة الإسلامية الخالدة . فإذا عمل المسلمون للوحدة العربية اليوم فللإسلام يعملون ، وإذا عمل العرب لها فللاسلام يعملون ، سواء بسواء ، ومن وراء ذلك ، إنقاذ الانسانية جمعاء بهذا الدين الذي أراده الله رحمة للعالمين .

●

قبل البحث في الاشتراكية

أريد قبل البحث في الاشتراكية والشيوعية أن ألقي نظرة عامة تتم ما سبق أن ألمعت إليه من علائق الإسلام بالغرب ، ولا سيما في العصر الحاضر وتشابك هذه العلائق ، ومدى تفاعلها مع عالم المسلمين في مختلف مجتمعاته .

لقد قال المستشرق الكبير «دونكان بلاك ماكدونالد» عام ١٩٠٦ في جامعة شيكاغو في صدد بحثه عن موقف الأديان من حيوية الدين الإسلامي : «ما من أحد يشك في أهمية

عقيدة مسلمي اليوم ، وإن كانت تلك العقيدة لم تعمل على تجديد الحياة ، ولا خرجت بأصحابها إلى طور الحركة..»

هل شلت حيوية الاسلام

وهذا القول وإن عبّر إلى حدٍّ ما عن واقع عالم المسلمين في ذلك التاريخ ، فإن فيه ظلماً للاسلام ، لأن عقيدته ليست هي التي لم تعمل على تجديد الحياة ، وجمدت بأصحابها عن الحركة ، وإنما هو انحراف أصحابها عنها ، بتأثير شتى العوامل ، التي من أهمها السياسة الاستعمارية الغربية التي حاربت الاسلام والمسلمين ، بسائق العصبية الدينية والعنصرية والمصالح المادية .

لقد تعثر فكر المسلمين في العصور الأخيرة ، ولا أقول الفكر الإسلامي ، كما قال ابن نبي [1] عن تخطي ظواهر الاشياء ، فهو – أي فكر المسلمين – لم يعد يفهم القرآن بل كان يحفظه ، ولهذا فإنه بعد أن حكم بالجملة على فائدة المنتجات الاوروبية ، لم يعمد إلى نقدها ، وذلك لأن القيم تناقش ، بينما الاشياء تستعمل ، فلم يسعَ المسلم لمعرفة طريقة صنع هذه الاشياء ، بل قنع بكيفية الحصول عليها ، وهكذا ظهرت المرحلة الاولى في تجديد العالم الاسلامي الذي أُخذ بالاشكال دون أن يعلم فحواها .

---

(١) مستقبل الاسلام ص ٣٤ .

أثر مادية الحضارة الغربية

لقد كانت مدنية الغرب مادّية في واقعها – وإن نفى البروفسور «جب» انبثاق المادية عن روحها – وقد سرت هذه المادية دون تعمق وتفكير في نفوس المسلمين ، نتيجة احتكاكاتهم الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالغرب ، وامتزجت بما في بعض جوانب الإسلام من عناية بالمادة إلى مقدار ، فعمل ذلك على طغيان الجانب المادي في حياة المسلمين على الجانب الروحي المعنوي ، بعد أن كان نظام الإسلام يوفق في تقدير دقيق ، وحسبان رائع بين المادية والروحانية ، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر .

الاعجاب حجاب

وهكـذا وجدنا – مع ابن نبي – مادية عالم المسلمين اليوم اللاواعية [١] ، وإعجابه الشديد بمـا هو مفيد لا يسمحان له برؤية الناحية المخيفة في المدنية الغربية ، بعد أن قيدت الناس بقيود الآلة التي تقودهم ، وتستنفد قواهم ، فتجعل منهم آلات من لحم ودم ، فهو لا يرى المرأة مثلاً بعيدة عن بيتها لتكسب بكدّ مضغـة من الخبز في جو يقضي على أنوثتها كما يقضي على رجولة الرجل ...

« إن المسلم لم يعان التجربة الأوروبية ، وإنما اكتفى بالقراءة عن هذه التجربة ، أي انه قنع بالعلم بدلاً من الفهم ،

(١) مستقبل الاسلام ص ٣٧ .

ولهـذا ظل جاهلاً بتاريخ مدنية أوروبا ، لا يعرف تطورها ، كما لا يعرف انحلالها الآن بتأثير ما فيها من تعارض داخلي ، وعدم موافقة لقوانين النظام الانساني ، ولأن حضارتها ليست حضارة مدنية بل أن كلاً من الاستعمار والتعصب العنصري ، قد جعلا منها حضارة امبراطورية » .

الذهنية المجرّدة

وهنا تبرز الحاجـة القصوى إلى ما دعاه الشاعر الفيلسوف محمد إقبال « بالذهنية المُجَرّدة »[١] ، فبعد أن بارك اندفاع المسلمين الثقافي نحو الغرب قال « ما في هذه الحركة من شيء معيب ، لأن الثقافة الأوروبية بمظهرها الذهني ، ليست سوى تبسّط لاحق لبعض أطوار الثقافة الإسلامية الهـامة ... ونهضة الإسلام تجعل التعمق في دراسة الفكر الأوروبي أمراً ضرورياً ، شريطـة أن يرافق الدراسة ذهنية مُجَرّدة ، بغية تحديد ما يمكن الاستفادة منه » .

ويبدو أن البروفسور جب يدرك معنـا الهدف الشيطاني للاستعمار في إبعاد المسلمين عن قرآنهم إذ يقول[٢] :
« لا بد للحركة الحيوية من أن تنبعث عاجلاً أو آجلاً ،

(١) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ١٣٥ .
(٢) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٥٩ .

شريطة أن يبقى القرآن قوة حية في حياة الأمة الإسلامية بكاملها » .

القرآن أصل ومدد وحاضر

ولا غرو فالقرآن هو الأصل الثابت والمدد الدائم والحافز الدافع، والموجّه المرن الواسع الآفاق، لكل نشاط إسلامي، فالنظام الشرعي في الإسلام - كما يقول محمد اقبال (١) - « يبدأ مستفتحاً مغاليق الأمور بالقرآن، ثم يتسع هكذا وهكذا دون أن يخرج عن تخطيطه » .

فالأفكار التي تعتمل الآن بالعالم الإسلامي - كما يقول البروفسور جب (٢) - : « قوى خلقت في قلب الأمة الإسلامية ... ولكن انتشارها نتج عن تأثير غربي لا مشاحة فيه ولا جدال » .

وإننا إذ نكتفي بأقوال البروفسور جب، كردّ على ما أسلفنا نقله من كلام « دون كان بلاك ماكدونالد » ، نجد من المفيد أن نشير إلى أن هذه القوى التي تعتمل في العالم الإسلامي وتنبعث من قلب الأمة الإسلامية، لأكبر دليل على صلاحية الإسلام في الحياة، وقابلياته النامية لإمداد المسلمين بكل ما يحتاجون إليه مع الزمن المتغير المتطور .

(١) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ١٥٨ .
(٢) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ١٥٨ .

ان الاسلام الذي يتّهم ظلماً بالجمود، كما يقول الدكتور اسحاق موسى الحسيني (١) قد مهد السبيل عن طريق القياس والاجتهاد والاجماع والمصالح المرسلة، الى التطور في شؤون الدين والدنيا معاً، ولولا ذلك لما ساير المجتمع الاسلامي في مراحله الأولى التطور الإنساني، وواكبه وشارك في تقدّمه المادي والمعنوي بسهم وافر .

الاسلام حركي

ومحمد رسول الاسلام الذي قالت عنه عائشة : « كان خُلُقُه القرآن » هو الذي يقول عنه (لوثرب) المستشرق الاميركي (٢): « ما كان النبي يبغض شيئاً بغضه للشرائع والقوانين الجامدة التي تقيد العقل فتقوده صاغراً اعمى » .

ما نزال في الحيرة

في العالم الاسلامي اليوم توثّب جديد، ولكنه وهو في عتبات نهضته، يعاني أزمة عامة حادة، تتجلى مظاهرها في الحيرة والارتجال والسطحية، والانكماش عن الجرأة والمغامرة، والجمود عند بعض القديم الذي ولّى زمانه، والتمرد على بعض القديم الذي يستمر صلاحه، والتردد في نقد الذات، والتخاذل بين العاملين. فضلاً عن الحرب الضارية التي تتضافر قوى الشر في شنّها ضد الشعب

(١) أزمة الفكر العربي ص ٢٣ - ٢٤ .
(٢) الاسلام والشيوعية لعبد المنعم نمر ص ٢١٥ .

الاسلامي .

فالحركة الاصلاحية حتى الآن لم تعرف السبيل الى تغيير النفس الاسلامية، كما لم تعرف تطبيق فكرة وظيفة الدين الاجتماعية، ولكنها نجحت بإثارة المأساة الاسلامية، في ضمير الأمة الاسلامية من الناحية الفكرية (١) .

إننا وان كنا نسلّم مع محمد اسد(٢) ان المدنية الغربية لا يمكن ان تكون الوسيلة الصحيحة لإيقاظ العالم الاسلامي من سباته العقلي والاجتماعي ، لأن تقليد المسلمين سواء أكان فردياً ام جماعياً، لطريقة الحياة الغربية ، هو بلا ريب أعظم الاخطار التي تستهدف لها الحضارة الاسلامية. فإننا لا نكون قد جاوزنا الحق، اذا اضفنا الى المدنية الغربية المشاركة على كل حال في إيقاظ العالم الاسلامي ، من حيث تريد او من حيث لا تريد، فعلاً، او ردّ فعل ! وإن كنا نقرر في نفس الوقت ان الغرب يود ويحاول ان

تصارع وتدافع

يوجّه هذه النهضة ، بعد ان ادرك انها حقيقة لا يمكن قهرها ، في وجهات تلائمه ، في الحين الذي تكافح فيه ، الذاتية الاسلامية، لأن تكون نهضتها العتيدة نابعة من صميم

---

(١) مستقبل الاسلام ص ٤٦ .
(٢) الاسلام على مفترق الطرق .

كيانها، مستوحاةً من روحها العريق الاصيل، مع ملاحظة الافادة من كل ثقافات وخبرات الحضارة المادية المعاصرة.

ومن هنا ينشأ الصراع وتجاذب الفكر وترادّ الفعل بين المجتمع الاسلامي، والقيم الاجتماعية الحديثة والافكار المعاصرة، التي تبرز اشد ما تبرز في الاشتراكية والشيوعية، اللذين سأعمد الى بحث تفاعلهما مع عالم المسلمين اليوم فيما يلي . وقد اخرت ذلك عن بحث القومية ، وفصلت بما تقدم من دراسة للتفاعل بين المدنية الغربية والنهضة الاسلامية ، لأنني اعتقد ان القومية أصل في الإنسان والخليقة ، وهي اقدم من هذه الافكار المعاصرة ، وتلك القيم الاجتماعية .

●

إلمامة بالاشتراكية

لا يتسع المجال هنا لدراسة مبادىء الاشتراكية والشيوعية ، ولكن البحث يتطلب الإلمام بطرف يسير منهما ، يساعد على دراسة اثرهما في عالم المسلمين اليوم ، ويتسع للمقارنة بينهما وبين الاسلام ونظمه . وأول ما اذكر اني لن استعير تلك التسميات الحديثة لأضيفها الى الاسلام فأتحدث عن ديمقراطية الاسلام واشتراكية

الاسلام ، وشيوعية الاسلام ، فأقع فيما ينتقده بحق الاستاذ عبد القادر عوده (١) ذلك لأن هذه التسميات لها نظمها واستقلالها ومنابعها ، التي تختلف عن الاسلام ووحدته واستقلاله ومنابعه .

منذ افلاطون

ان هدف الاشتراكية والشيوعية، هو تحقيق نوع من المساواة بين البشر ، هي المساواة المادية، التي تنبع من حاجات الجسم ، وتسعى لتأمينها في نطاق الحواس الظاهرة ، وهذه فلسفة قديمة منذ أفلاطون ، وقد زادها الزمن صقلاً ونمواً ، حتى اذا وجدت لها في العصر الاخير ظروفاً ملائمة ، اصبحت نظاماً للدول تقوم عليه حكومات ، وتؤيده قوى هائلة كانت تحس بالحاجة اليه؛ اما المجتمع الاسلامي فلم يحس بمثل هذه الحاجة ، لأن الاسلام في اساسه يكفل للمسلمين العدالة الاجتماعية ويقرب المسافة بين الاغنياء والفقراء « ويحرم الاستغلال من اي نوع كان ، استغلال الافراد للافراد ، واستغلال الشعوب للشعوب ، والحكام للمحكومين (٢) » ، والاسلام يقوم في اساس فلسفته على وجود الله، ورسالاته، والحقائق الاخلاقية التي تدعو إليها، ومن هذه الاصول تتفرع تعاليم

(١) الاسلام وأوضاعنا السياسية صفحة ٢١٧ .
(٢) الاسلام واوضاعنا السياسية .

افتراق مع الاسلام

الاسلام ومناهجه في الحكم ، وأنظمته في تكوين المجتمع ، وعندما يطلع رجال العصر الحاضر على نظم الاسلام يحكمون واهمين على بعض جوانبها بأنها من الاشتراكية او الشيوعية ، وما هي إلا من ذات الاسلام ، وقد تكون الاشتراكية او الشيوعية صورتين متأخرتين لها في بعض الوجوه . يقول النبي ﷺ ما معناه : « كان الاشاعرة اذا أمحلوا في عام جمعوا ما عندهم من مال، فمزجوه ثم اقتسموه بينهم بالسوية ، فأنا منهم وهم مني » . وموقف ابي ذر من عدم ادخار المال، وإنفاقه على الفقراء معروف، ومعروف استدلاله عليه بآيات من كلام الله . والله حقيقة غير حسية ولا مادية ، فلا تعترف الشيوعية به، فكيف يسمي بعض المعاصرين ابا ذر الصحابي الشيوعي ؟ وكيف يمكن ان تسمى هذه النزعات الاسلامية الانسانية — شيوعية او اشتراكية — بالمفهوم المعاصر لهذين المذهبين ! ؟

انحدار بالانسان

فلاسفة المادة يجعلون النشاط الانساني كله نابعاً من الجسد ، فلا مجال اذاً لاعتبار الجوانب الخلقية والروحية لأنها لا يمكن ان تنبع من الجسد ، وبالتالي فالمجتمع والدين والاخلاق عندهم سخافات لا ضرورة لها ، وهكذا يكون نظام الاسرة مفتعلاً ، لأنه ليس في جسم الانسان ما يحمل على الارتباط بأسرة ، وكل الذي في جسمه (١) هو

(١) الانسان بين المادية والاسلام ص ٦٠ الى ٦٦ للاستاذ محمد قطب .

الطاقة الجنسية وهي مسألة بيولوجية، فلا يحتاج الانسان، ذكراً كان او انثى، الى اكثر من تلبية تلك الحاجة الجسدية البيولوجية على اي شكل من الاشكال، اما المثل العليا فخرافة يضحك الانسان بها على نفسه، والحقيقة الواحدة هي المادية الواقعية، حقيقة الارض والنوازع المشابهة لنوازع الحيوان ! !

مروجات الاشتراكية

قد نجد اليوم في عالم المسلمين تأثراً كبيراً بدعوة الاشتراكية، وسبب ذلك عدم تعارضها في دعوتها الى العدالة الاجتماعية مع ما جاء به الاسلام من جهة، والظلم الاجتماعي الذي يئن المسلمون منه بعد عصور التخلف وبلاء الاستعمار، من جهة أخرى، حتى اصبحنا لا نكاد نجد جماعة او حزباً لا يدعو الى الاشتراكية في مناهجه، بشكل معتدل او متطرف، ومن هذه المبالغة بالترويج للاشتراكية والهتاف بها، وجدت الشيوعية منافذها الاولى الى جسم المسلمين في العصر الحاضر، فانجرّت الشيوعية لدى عامة الناس بقافلة الاشتراكية، والاشتراكية بعجلة العدالة الاجتماعية، وارتبطت هذه بمبادىء الاسلام فدخلت الشيوعية على نفوس الجماهير المسلمة هذا المدخل الماكر ! ومن اين للجماهير العامة ان تمحص الخطر وتدرك مراميه ووسائله، ولا سيما في غمرة الحملات الدعائية الماكرة المركزة التي تقوم بها الشيوعية العالمية وعملاؤها .

الاساس المادي

يقول فردريك انكلز(١) «تبدأ النظرية المادية من المبدأ التالي، وهو ان الانتاج وما يصحبه من تبادل المنتجات هو الاساس الذي يقوم عليه كل نظام اجتماعي» ويتدرج ماركس فيقول (٢) : «اسلوب الانتاج في الحياة المادية هو الذي يعيّن بصفة عامة العمليات الاجتماعية والسياسية والمعنوية في الحياة» و «ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم بل ان وجودهم هو الذي يعين مشاعرهم (٣)» .

نفي الاخلاقية

ان الاخلاق ليست الا نتيجة التفاعلات الاقتصادية في المجتمع، فاذا تغيرت علاقات الانتاج تغيرت معها القيم الاخلاقية؛ والدين — افيون الشعوب — شيء ابتدعه الاقطاعيون والرأسماليون لتخدير الشعوب وشغلها عن صراعها الطبقي — وليس شيئاً سماوياً ولا حاجة سيكلوجية تنبعث من ضمير الفرد، والمثل العليا هي اوهام الجائعين والمحرومين، الذين حرمتهم الاحوال الاقتصادية من حاجاتهم فراحوا يحلمون بها (٤) !!

ان اعظم احتقار وجه للانسان في عصوره كلها (٥)

---

(١) النظام الاشتراكي ص ١٢٠ ترجمة الدكتور راشد البراوي .
(٢) النظام الاشتراكي ترجمة الاستاذ عبد الفتاح ابراهيم .
(٣) الانسان بين المادية والاسلام لمحمد قطب ص ٦٥ .
(٤) مأساة العربي المسلم صفحة ١٣ .
(٥) مأساة العربي المسلم صفحة ١٣ .

هو الذي حمله الفلاسفة الماديّون الذين قالوا بفناء الفكر وموت الروح ، وانطمارهما في الجسد ! والواقع ، ان الكارثة العظمى في الشيوعية والمذاهب المادية ، هي تحديد مطالب الانسان بالغذاء والكساء والاشباع الجنسي ، وهي المطالب التي حددها ماركس في « المانيفستو » وسماها The three satisfactions .

وهل أنا في حاجة بعد كل هذا الى القول ، بأن هذه المذاهب المادية تخالف الاسلام وروحه وفلسفته ومعتقداته ؟ فالاسلام يجعل الجسم قالباً مسخراً للنفس ، والنفس – كما يقول محمد قطب – [1] عالم شامل للاقتصاد والمادة ، يشمل الافكار والمشاعر وضرورات الجسد القاهرة وسبحات الروح الطليقة ، وكلها اصيلة أصيلة .

الشيوعية في العالم الاسلامي

وعلى الرغم من تعارض الاسلام مع الشيوعية تجد لها في عالم المسلمين اليوم، مجال عمل وتغلغل ونشاط متزايد ! على اننا لا نعتقد أن ذلك نتيجة انسجام واعتناق، بل هي ظروف سياسية وعامة من جهة ، ونتيجة تخطيط دعائي مثابر ، وبذل مادي سخي ، من جهة اخرى .

فموقف الاتحاد السوفييتي من تبني قضايا العرب ولو

(١) الانسان بين المادية والاسلام صفحة ٧٧ .

ظاهرياً ، وتأييدها في المحافل الدولية، والتهديد من أجلها كل من يعارضها، كل ذلك كان اكبر دعاية نافعة للشيوعية، زادت اصدقاءها أضعافاً كثيرة ، وزادت عدد اتباعها الى حد ما ، كما ان التفوق العلمي الملموس الذى أظهرته روسيا في ميدان الصواريخ والاقمار الصناعية ، والذي أحسنت الدعاية له ، فخلبت ألباب الجماهير إعجاباً بالأدمغة السوفيتيية المبدعة ؛ هذا التفوق، يعد سبباً في زيادة التأثر بالدعوة الشيوعية ، ومع ذلك فمن الإنصاف ان نجهر هنا بأن المسؤولية العظمى في كل ذلك تقع على السياسة الاميركية والغربية بوجه عام ، وما اصدق ما يقوله بشير رفعت في كتابه مأساة العربي المسلم : « اذا كانت الشيوعية خطراً تجب مقاومته فيجب أيضاً مقاومة المستعمرين الحقيقيين الذين يساعدون على نشر الشيوعية واتساعها بمواقفهم العدائية من قضايانا ، ذلك ان قضية الشيوعية في بلادنا هي وليدة الظروف السياسية قبل ان تكون رد فعل للظروف الاقتصادية والاحوال الاجتماعية [1] » .

تخطيط دعائي بارع

ولا ينكر ان أكبر كسب حققته السياسة الروسية بالشيوعية في العالم هو امتزاجها في اذهان شعوب العالم بالدعوة الى السلام ، ونزع السلاح ، ونشر العدالة

(١) مأساة العربي المسلم ص ١٣٠ .

الاجتماعية ، وتأمين العيش الكريم لعامة الناس ، وستبقى هذه الدعوة عند الجماهير الجائعة ، الجاهلة ، الفقيرة ، المريضة، المتخلّفة في حياتها، أجدر بالاعتناق من دعوات المثل العليا المجردة ، والفضائل الانسانية التي لا يمكن لعامة الناس أن يدركوها ، الى أن ينكشف للناس جميعاً زيف الشيوعية وخداعها ويظهر وجهها الاستعماري السافر .

سبق الاسلام بكل خير

ولست في حاجة بعد كل ذلك الى القول هنا بأن كل خيرٍ حق تدعو إليه الشيوعية في اطاراتها المادية مسبوق اليه في الإسلام يتبناه نظامه ، في حكمته وشموله وتوفيقه الفذ بين مطالب الجسم والروح والمادة والمعنى ، وكم اتمنى لو كان المجال يتسع لضرب الأمثلة على كل ذلك ، وهي كثيرة، ويكفي أن أنقل لكم من صفحات التاريخ الاسلامي المشرقة صرخة ابن الخطاب في وجه جبلة بن الأيهم : « إن الاسلام يا جبلة سوّى بين الملك والسوقة في الحد »، وصرخته الاخرى في وجه عمرو بن العاص: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احراراً» ! ولكن الذي أود أن أعلنه بقوة وصراحة ان تلك البطولات التي يفخر بها التاريخ الاسلامي بحق ، لا تستطيع أن تملأ فراغ المجتمعات في عالم المسلمين اليوم ، ولا تقدر ان توجه سلوك الأفراد ، وسياسة الاحزاب، ومناهج الحكومات،

اعادة الفعالية للعقيدة

بصورة تطبيقية ، ذلك « لأن المشكلة [1] ليست في تلقين الفرد عقيدة يؤمن بها » فعقيدتنا باقية ، « بل المشكلة هي في إعادة الفعالية الى هذه العقيدة ! والمبادىء هي الاطارات العقلية للعمل [2] « وأنه » لا يكفي أن يكون الاسلام [3] قد عاش في الماضي وكوّن مجتمعاً كاملاً سليم البناء في عهد النبوة والخلافة، فقد وقعت منذ ذلك الماضي تطورات مادية في طبيعة الأرض وقواها بالقياس الى الانسان » ويجب أن نحسب لكل ذلك حسابه ونحن ندرس تفاعلات الافكار المعاصرة والقيم الاجتماعية الحديثة مع المجتمع الاسلامي ، لنرسم في ضوء ذلك ، الخطوط الكبرى لمنهاجٍ رشيد ، يستهدف بعث الاسلام في عالمه المترامي الأطراف قوياً فعالاً من جديد .

اختلاف في مراتب التأثر

لا بد لنا بعد كل ما تقدم أن نلاحظ اختلاف أجزاء المجتمع الاسلامي، أو عالم المسلمين كما اسميه ، بالنسبة للتأثر بالقيم الاجتماعية الحديثة ، والافكار المعاصرة ، فهناك فرق بعيد بين الحالة في مصر ، والحالة في مدغشقر ، وبين الوضع في سورية — والوضع في اليمن، وبين موقف الشرق

(١) مالك بن نبي ص ٣٧ مستقبل الاسلام .
(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .
(٣) العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٢١٥ لسيد قطب .

العربي ، وموقف المغرب العربي ، وبين شأن بلاد العرب وشأن بلاد المسلمين الاخرى، والذي قدمناه في بحثنا لم يهدف الى درس كل قطر بمفرده ، فذلك مطلب عسير لا تتسع له مثل هذه المحاضرة العجلى .

فرق بين الاسلام والمسلمين

وشيء آخر لا بد من ملاحظته وهو ضرورة التفريق في كل ما تقدم بين موقف الاسلام كنظام وعقيدة وتاريخ، وبين موقف المسلمين كموجات بشرية مختلفة الاجناس ، عمرت أرجاء العالم الاسلامي منذ بعثة الرسول حتى اليوم، كما أن هناك تفريقاً أساسياً هاماً آخر تجب ملاحظته بين موقف الحكومات الاسلامية وبين موقف الشعوب الاسلامية ، فأكثر الحكومات لا تمثل رأي شعوبها ، والحكومات الصالحة ، صلاحها نسبي ومرتبط بنيّات الحكام ، اكثر من تصرفاتهم التي تقيدها اعتبارات كثيرة ، وتتحكم فيها ترسبات الماضي وملابسات الحاضر، وتجعلها مؤامرات الاستعمار متخلفة عن آمال شعوبها ، فضلاً عن أن الحكومات بوجه عام دائمة التردد ، والتغير، بيد أن الشعوب تحافظ على روحها العام في خطوطه الكبرى ، وإن كانت إمكانات التعبير عن هذا الروح تتأثر بمختلف الملابسات والظروف .

والحكومات والشعوب

وزبدة القول في ختام كل ما تقدم: أن الباحث المتأمل

مجتمعنا ليس اسلامياً

في عالم المسلمين اليوم ، يلحظ أن المجتمع الاسلامي الحاضر ليس اسلامياً بحال من الأحوال ، واننا مدعوون الى استئناف حياة اسلامية تحكمها الروح الاسلامية ... وتطابق بين ما ندّعيه من الاسلام وبين الواقع الاسلامي الصحيح وفي سبيل ذلك نحتاج أول ما نحتاج الى إعادة النظر في الشكل الذي وصل إليه نظام الاسلام بعد أن طوى ما طوى من القرون ، والتقلبات والأحداث ، مستفيدين من تجاربنا الطويلة ، ومن معطيات عصرنا في العلم والفهم ، وأساليب التنظيم والعمل ، دون انسلاخ من روحنا وخصائصنا ، نأخذ من الانسانية ما توصلت اليه من معارف – وهي حق مشاع بين البشر – ونطبقها ونستفيد منها في إطارات فلسفتنا الخاصة ، ولن يكون لنا في هذا الصدد كبير جدوى بما يدعو اليه أنصار النظرية التحررية الذين تأثروا بالغرب الى مدى ، ولم يطلعوا على تراث الإسلام بالقدر الكافي ، فكانت حصيلة دعوتهم مناداة مبهمة الى الاصلاح ، لا يمكن أن يقام لها وزن ، إلا كما تكون صيحة عابر السبيل في الناس ، ليدفعهم الى انقاذ غريق .

والواقع [1] « ان الحركة الفكرية الحديثة تقوم منذ

---

(١) مستقبل الاسلام صفحة ٥٢ .

نشأتها على نوع من الإبهام كما يقول ابن نبي [1] ، وذلك لأن العلم الذي تنقله هذه الحركة عن جامعات أوروبا ليس وسيلة لإصلاح أسباب الحياة ، بل للظهور بمظهر أفضل للمجتمع ، كما أن هذا العلم لا قيمة له في استبطان الذات حين نريد معرفة أنفسنا لتغييرها، ولا قيمة له في اكتشاف البيئة التي يجب أن نعرفها قبل اصلاحها ! بل يكتفي هذا العلم بذاته ويعيش ضمن قوالبه « ولذا فإن فعالية الذين يحملونه في العالم الاسلامي تبقى قاصرة ، بدليل أننا لم نشهد حتى الآن ظهور شخصية منهم تماثل الشخصيات البارزة في تاريخ المعارف الإنسانية » .

الغفلة عن استبطان الذات

معرفة واستقامة

يقول النبي ﷺ : « رحم الله امرءاً عرف زمانه واستقامت طريقته » ، وفي نور هذا الحديث الخطير يجب أن نعمد الى : إعادة تنفيذ الاسلام على أسسه القديمة الثابتة ، بطريقة يؤثر فيها الفكر الجديد أثره « منطلقاً من الأصول الصافية الثابتة التي لم يشبها شك ولا خالطها ريب » كما يقول البروفسور جب [2] .

وهذا العمل الضخم لا يمكن أن يقوم به فرد ، لأن طاقة الفرد محدودة لا تستطيع أن تنهض بالأعباء التي

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الاسلام صفحة ٦٣ .
(٢) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٦٣ .

تقتضي طبيعتها تضامن الجهود، وبذل الأموال ، وتساند المواهب ، وتضافر المعلومات ، والمضي الصابر وفق منهج مدروس، وكم يفيد في هذا الصدد تأسيس مجمع علمي للدراسات الاسلامية . وأذكر أنني كنت تقدمت بمقترح في ذلك الى مؤتمر العالم الاسلامي الأول ، الذي عقد في كراتشي عام ١٩٤٩ ، فأقر المؤتمر اقتراحي نظرياً ، ولم يستطع أن ينهض بتحقيقه ، فلما عينت ممثلاً لبلادي في باكستان ، شرحت الفكرة لرئيس وزرائها السياسي المحنك لياقة علي خان رحمه الله، ثم لرئيس مجلسها التأسيسي اذ ذاك السيد تميز الدين خان ، فأقرّاها وأكبراها ، ويبدو أن البلبلة السياسية لم تسمح لهما بالتفكير الجدي بإخراجها الى حيز العمل، ثم كنت أقدّم في هذا الموضوع مقترحاً بعد آخر، لكل مؤتمر اسلامي يعقد ، ولما عينت سفيراً في المملكة السعودية، اقترحت على عاهلها الملك سعود ، وسمو الأمير فيصل ، أن تتبنى المملكة السعودية هذا العمل العظيم ، تسد به الفراغ المستحوذ على نظامها الاسلامي ، الذي ما يزال في أثوابه الأولى محتاجاً الى تقنين وتنسيق ، وتخريج وتوفيق مع حاجات العصر وأساليبه .

اجتماع ومجمع

ولعل هذا المؤتمر الكريم يقدّر معي ضرورة وخطورة قيام المجمع العلمي للدراسات الإسلامية ويتجاوز في ذلك

حدود التوصيات النظرية الى اتخاذ خطوات إيجابية فعّالة سريعة مجدية في هذا الشأن .

من الفرد حق كل فرد

نعم ان الاصلاح يجب أن يبدأ من الفرد ، ولكن البعث وإن كان يبدأ من أعماق الشخصية ، ومن شعور بالذات ، فإنه لا يتكامل إلا إذا شمل كل فرد، يقول الله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ولا يفيد في حال الجماعات والدول أن يجري هذا التغيير خبط عشواء ، بل لا بد له من منهاج يرسم خطوطه ، وبرنامج يضبط سلوكه ويوجهه .

المواطن الصالح

ولا أكون مغالياً إذا قلت : إن آفة الآفات في أوطان عالم المسلمين اليوم هي إنشغال الأحزاب والحكومات والحركات السياسية والاجتماعية وسواها بقضايا تلك الأوطان الدائمة والطارئة ، عن إعداد المواطن الصالح ، الذي يستطيع أن يحمل العبء ويثبت في الملمات، وينتج في بناء كيان الوطن ،على أسس من الإيمان والقوة والعرفان .

إننا إذا رسمنا لمواطن ما عند انتسابه الى جماعة أو حزب ما ، خارطة تبيّن لنا حقيقته الثقافية والاجتماعية والسلوكية والاقتصادية والجسمانية.. ثم كررنا رسم هذه

الخارطة عاماً بعد عام، لا نراها تتبدل وتتقدم في شيء كثير ، وهذا يدلنا على جمود قابليات المواطنين في ظل الأنظمة السياسية القائمة في بلادنا، شعبيةً أو حكومية .

والإنطلاق في إعداد المواطن الصالح لا يسوغ أن يترك لاجتهادات العامة ، أو أمزجة الخاصة ، بل لا بد له من خطط مرسومة ، تقوم بوضعها فئات مخلصة مؤمنة قديرة جديرة، بمثل هذا العمل العظيم .

نزعنا القيود

يخيل إلينا والى كل بصير مع ابن نبي [1] « أن هناك في عالم المسلمين اليوم قوى كانت مقيدة قد تحررت دون أن يعين لها الدور الذي يجب عليها القيام به » إنها قوى هائلة ولكنها غير مصقولة ، ولا « مهندسة »، ولا موجهة الى غاياتها ، في إطار من الانسجام العام بين طاقات المواطنين وحاجات الوطن .

الاسلام دائم القدرة

والاسلام كما أسلفنا وأثبتنا في أكثر من موضع في هذا البحث، وكما هو ثابت عند كل العقلاء المنصفين، ما يزال ولن يزال، يحمل كل القابليات الخصبة لإمداد المسلمين بما يحتاجون إليه من مبادىء وحوافز ومثل عليا . ولكنه مفتقر الى من يتبناه ويعمل به ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

(١) مستقبل الاسلام ص ٥٣ .

يقول البروفسور جب [1] : إن مستقبـــل الاسلام متعلق بأهلية العلماء، الصحيحي العقيدة ، بحل مشاكل الاتجـــاهات الجديدة ، مع ظهورها ، عن طريق تعاليم تستطيع أن تجابه قوى التفكك وتسيطر عليها » ، ثم يتحدث عن غالبية علماء المسلمين بهذا العصر فيقرر انهم : «لم يعد لهم صلة مع الفكر المعاصر، وبراهينهم مهما كان لها نصيب من الصواب ، لا تنجح بالإقناع ، لأنهم يعبرون عنهـا بقالب لا يوقظ أي صدى في عقول المثقفين ! حتى أن أسلوبهم اللغوي الذي يعبرون به لا يزال على حاله من القدم ، الذي لم يعد مأهولاً في يومنا هذا ! هذا الأسلوب يقرع الآذان والعيون بشكل غريب ، ويقوّي الاعتقاد بأنه لم يعد لهم رسالة في العصور الحديثة، علاوة على ذلك، ان تصاريحهم العامة التي تصاغ بقالب لا يقبل الجدل ليست إلا سلاحاً دفاعياً ضعيفاً في صراعهم مع القوى المقاومة للدين في العالم ، وهذا ما يعطي قوة للنقاد – غربيين كانوا أم شرقيين – الذين يصفون الاسلام بأنه دين متلاش !

فلنفهم عقلية الجيل

ولكن رأيهم المتهجم هذا مغلوط ، لأن الاسلام دين حي وحيوي، يخاطب قلوب وأذهان وضمائر عشرات ومئات الملايين من الناس ويعطيهم مبادىء حياة شريفة ومتزنة ،

(٢) الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٢٠٢ .

مليئة من خشية الله، فالاسلام ليس هو المتلاشي ، ولكن تعابير فئآت صحيحي العقيدة وأساليبهم التي لا تقبل الجدل هي المتلاشية .

المدرسة السلفية المعاصرة

ولا أريد أن أعلق على هذا التحليل الذي يصيب كبد الحقيقة تماماً في أكثر ما جاء فيه، ولكني ألفت النظر الى المدرسة الاسلامية الفكرية المعاصرة التي انبثقت من روح سلفية واعيـــة وكان من روادها الأوائل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ورشيد رضا ومحمد إقبال ثم أخذت شكلها الإيجابي البنّاء المركز منذ حسن البنـــا رضي الله عنه وما زال يمدُّهـــا أعلامها ومفكروها وشهداؤها بجذوة الحياة الجديدة الفعالة الموصولة بينابيع الاسلام الاولى. واثقاً من أن هذه المدرسة سيكون لها في مستقبل الأمة الاسلامية أثرها الهام رغم ما تعرضت وتتعرض له من نكبات جسام ، ما كانت لتنزل بها لولا انبثاقها الحق من اصالة الاسلام . وإنني إذ أعقد عليها أكبر الآمال لأرجو وأدعو الله أن يوفق الى تبني الاسلام من قبـــل حكومات مفروض فيهـــا أن تؤمن به وتغـــار عليه وتمكّن له ، وتعمل بهـــديه ، ولا سيما الحكومات التي ما تزال في منجاة من لوثة الاشتراكيـــة العلميـــة ؛ فهي غنية في إمكاناتها للبذل له ، ومربوطة في مجدها بتراثه ، ومحتاجة في تشاريعها وقوانينها الى هديه وأحكامه ، إن الحكومات الاسلامية أو إحـــداها إذا أخلصت تستطيع أن تأخذ من علماء المسلمين مادة علمهم

دعوة الحكومات الى تبني الاسلام

وتشد عضدها بما لدى العلماء العصريين من معارف وتخرج من ذلك ، عن طريق المجمع العلمي للدراسات الاسلامية وسواه ، بنظام منسجم يلائم روح العصر ، ويعبرّ عن حقيقة الاسلام ، ويوظفها في قيادة المسلمين ، ويهدي بها الإنسانية التائهة الضالة ، الى سواء السبيل .

لم يعد مجال للتسويف

إن انتشار الحركات والمذاهب الأجنبية المادية المعاصرة وتسلطها على بعض أوطان الاسلام وإتساع خطرها هو تنبيـــه صارخ الى أن التعبير الجديد عن الاسلام والبعث القوي لروحه الأصيل ، لم يعد بالوسع تسويفهما الى أمد غير محدود ، فالافكار المعاصرة والمذاهب الاجتماعيـــة الحديثة الغريبة عن روح الاسلام ، وعن تطلبات المسلمين، توشك أن تعمنـــا بالغزو في عقر دارنا ، متلبسة بأثواب خادعة تتخطف بها أبناءنا . فلنبادر قبـــل أن تضيع الفرصة ونضيع معها ، وقد تضيع معنا الإنسانية الحائرة

لننقذ أنفسنا والانسانية

الفزعة من ويلات صواريخ الاطلس ، والأقمار الصناعية، والقذائف الموجهة العابرة للقارات !! لنتدارك أنفسنا في نطاق البشرية المهددة بالإنقراض، قبل أن تقضي المذاهب المادية على إنسانيتنا وقبل أن تبتلعنا القنـــابل الذرية ، والمدمرات النووية ، فنندم ولات ساعة مندم .

« وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسم يظلمون »«ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » ..

تقدير .. وشكر .. ورجاء :

● يسجل الباحث تقديره للأساتذة الذين اقتبس من آثارهم أو شاركهم في آرائهم .

● ويشكر للاستاذ هشام الغراوي عنايته الفنية باعـــداد الغلاف والرواسم،ولدار الفتح اهتمامها باصدار البحث والاشراف على طباعته .

● ويرجو ممـــن له رأي أو ملاحظة حول هذا البحث ، أن يكتب له بذلك الى العنوان التالي :

5 شارع آجاكسيو

الرباط — المغرب

المحتوى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



آثار للمؤلف

مطبوعـــاً :

- مع الله (ديوان من الشعر الالهي)
- عروبة وإسلام
- ألوان طيف (ديوان من الشعر الانساني)
- الهزيمة والفجر (شعر)
- ملحمة الجهاد (شعر)

تحت الطبع :

- مع الله (طبعة ثانية مع دراسة نقدية)
- نهضتنا بين الواقع والواجب
- غربة وغرب (ديوان من الشعر الحضاري)
- إشراق (ديوان من الشعر الإلهي)

من منشورات
(دار الفتح للطباعة والنشر)

كتب للمؤلف :

– الاسلام في المعترك الحضاري
– ديوان (مع الله) طبعة ثانية

كتب عن القضيــــة الفلسطينية :

– طريق النصر في معركة الثأر محمود شيت خطاب
– الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها » »
– جهاد شعب فلسطين صالح مسعود ابو يصير

سلسلة قادة الفتح الاسلامي :

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب

– قادة فتح بلاد فارس
– قادة فتح الشام ومصر
– قادة فتح المغرب العربي ج ١
– قادة فتح المغرب العربي ج ٢

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
هاتف ٢٥٧٤١١ - ٢٩٤٢٠٤ - ٢٩٣٠٤٣
بيروت - لبنان - ص.ب ٥٦٢٠

٦٨/٦٢٠٠/١٦٢٤

● بحوث تتناول قضية الحضارة الاسلامية والانسانية ، تناولا مقارنا ، ايجابيا هادفا ، يتوخى الاسهام في توعية اجيال الامة ، والاخذ بيدها ، نحو غد اسلامي مجيد ومستقبل انساني سعيد . وهي تصدر في سلسلة ، ولكن كل حلقة منها تشكل موضوعا قائما بذاته ، لا يتوقف على ما قبله وما بعده ، فهو حيز مستقل من كيان القضية الكبرى .

● وللاستاذ عمر بهاء الدين الاميري واضع هذه الدراسات ، مواهب وثقافات وتجاريب ، تطبع كل آثاره ، بطابع مميز خاص .

● درس الادب ، وفقه اللغة ، في السوربون ، والحقوق في الجامعة السورية ، ومارس المحاماة وشارك في مؤتمراتها ، وادار المعهد العربي الاسلامي بدمشق ، ودرّس علوم الاجتماع والنفس والاخلاق والتاريخ والحضارة ، وهو يتكلم بعدة لغات .

● كان سياسيا اسلاميا مخلصا ، وسفيرا ناجحا لسورية في باكستان والسعودية ، وركنا في حركة سورية الحرة ، وحمل السلاح في القدس مع جيش الانقاذ في حرب فلسطين عام ١٩٤٨

● كان عضوا فعالا ، في عديد من مؤتمرات الدراسات والشؤون الاسلامية في العالم ، وشارك واهتم بقضايا السياسة والجهاد في اوطان العروبة والاسلام .

● وهو اديب وكاتب وخطيب ، وشاعر ثرّ . طبع له من شعره : « مع الله » ، « الوان طيف » ، « الهزيمة والفجر » ، « ملحمة الجهاد » ، ويعتبر صاحب مدرسة شعرية خاصة ، تجمع بين الاصالة والتجديد ، في توفيق بارع اختص به ، وقد ترجم بعض شعره الى اللغات الاجنبية والاسلامية . وله اكثر من عشرين ديوانا مخطوطا .

● وهو اليوم استاذ « الاسلام والتيارات المعاصرة » في دار الحديث الحسنية (قسم الدكتوراه) في جامعة القرويين ، واستاذ الحضارة الاسلامية في كلية الآداب في جامعة محمد الخامس ، في المغرب .

● في هذه الدراسات أقباس من كل ذلك ؛ ان شخصية الاستاذ الاميري تمتزج بها ، وتضفي عليها قيمة هامة ، انها انبثاق من معاناة ذاتية ، وتفاعل مع جهاد الامة العربية والاسلامية خلال ثلث القرن الاخير من حياتها .

● ودار الفتح وهي تقدمها معتزة الى قراء العربية ، تشكر للاستاذ الاميري ثقته التي جعلته يؤثرها بنشرها ، وتسال الله ان ينفع بها ، انه من وراء القصد .

بيروت في الغرة من رجب ١٣٨٨ ـ ٢٣ ايلول ١٩٦٨

الناشر

الثمن : ليرتان لبنانيتان ● 4 دراهم مغربية